من خطب العام ٣

التواضع

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي



من خطب العام (2)

التواضع

تأليف
أبي عبد الله مصطفي بن العدوي

مكتبة مكه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من مكارم الأخلاق
التواضع وخفض الجناح

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

إن الأخلاق الحميدة الحسنة ترفع صاحبها يوم القيامة عند ربه درجات وتضع عنه الأوزار وتثقل له الموازين، فلقد قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»[(١)].

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[(٢)].

وأخرج أبو داود[(٣)] بإسناد صحيح لشواهده من حديث أم

---

(١) أخرجه عبدُ بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٢٠٤).

(٢) وهي عند الترمذي وغيره، ولها شواهد وهي صحيحة.

(٣) أبو داود (حديث ٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠)، وغيرهما.

المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

وقال ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»(٤).

وأخرج الترمذي(٥) من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا».

وحديثنا بمشيئة الله عن خلقٍ جميل تحلَّى به المرسلون، واكتسى به الأولياء والصالحون، ألا وهو التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان.

وقد أُمر بهذا الخلق سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام فقال تعالى ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وفي الآية الأخرى ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال سبحانه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

(٤) مسلم (٢٥٥٣).

(٥) الترمذي (٢٠١٨).

ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد أُوحي إلى نبينا محمد ﷺ أن يتخلق بهذا الخُلق الجميل ففي صحيح مسلم[٦] من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أخي بني مجاشع قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطبنا فقال: «**وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».

وعند مسلم من حديث عياض بن حمار أيضًا أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته... «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»[٧].

ثم هذا جبريل عليه السلام يخبر نبينا محمدًا ﷺ ويرشده، ففي مسند أحمد[٨] بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٦) مسلم (ص ٢١٩٨).

(٧) مسلم (٢٨٦٥).

(٨) أحمد (٢/ ٢٣١).

قال : جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ. قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا . قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا» .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[٩] .

ولقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص: ٨٣].

لقد قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ» .

وذلك أخرجه مسلم[١٠] في صحيحه من طريق عامر بن

(٩) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

(١٠) مسلم (٢٩٦٥).

سعد قال: «كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَنَزَلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ[١١]، الْخَفِيَّ».

أيها الأخوة: إن أكرم الناس عند الله أتقاهم كما قال الله تبارك وتعالى قال تعالى﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولقد سئل النبي ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ[١٢]...» الحديث.

لقد بيَّن رسول الله ﷺ أن الفخر بالأحساب من أمر الجاهلية.

---

(١١) الغني هو غني النفس.

(١٢) البخاري (٤٦٨٩)، ومسلم (٢٣٧٨).

أخرج مسلم[١٣] في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

ولقد أخرج البخاري[١٤] من حديث سهل بن سعد الساعدي أنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ،

(١٣) مسلم (٩٣٤).

(١٤) البخاري (حديث ٦٤٤٧).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي[١٥] ﷺ قال: «تَعِسَ[١٦] عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[١٧] إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ[١٨] وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ[١٩]، طُوبَى[٢٠] لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

---

(١٥) البخاري (٢٨٧٧).

(١٦) تعس: خاب وهلك.

(١٧) الخميصة: الكساء الجميل.

(١٨) انتكس: من النكسة أي انقلبت عليه الأمور.

(١٩) إذا دخلت في رجله شوكة فلا خرجت منها.

(٢٠) طوبى: قيل الجنة، وقيل شجرة في الجنة، وقيل غير ذلك وقيل أطيب حال لهذا الرجل.

وانظر إلى هذا الحديث وأمعن النظر فيه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»(٢١).

أيها الأخوة: بارك الله فيكم، تعلمون أن كلَّ شخص له أسوة يتأسى بها، وله إمام يقتدي به، وإمامنا نحن المسلمون رسولنا محمد ﷺ فهوا إمامنا وقدوتنا، قال تعالي ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهذا رسولكم، وذاك شيء من تواضعه، فالتمسوا هديه، واقتفوا أثره، لقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن المغالاة في مدحه وإطرائه والمبالغة في الثناء عليه فعند

(٢١) البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

البخاري[٢٢] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي[٢٣] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وعن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ ناسًا قَالَوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ويَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيه اللهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُه».

ولقد كان يهضم حق نفسه، فما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عزَّ وجل، قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٢٤].

---

(٢٢) البخاري (٣٤٤٥).

(٢٣) أي لا تبالغوا في مدحي والثناء عليَّ.

(٢٤) مسلم (٢٣٢٧).

فهذا نبينا محمد ﷺ يبين مناقب إخوانه من الأنبياء ويظهرها:

فمن صور التواضع التواضع للإخوان والأصدقاء والفضلاء، وإظهار مناقبهم وفضائلهم:

❑ يناديه رجلٌ فيقول له ياخير البرية، فيقول عليه الصلاة والسلام (ذاك إبراهيم عليه السلام)(٢٥).

❑ وكان إذا أُوذي قال رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر(٢٦).

❑ وفي الصحيح(٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ: «ادْعُوهُ» فَدَعَوْهُ قَالَ: «أَلَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ

(٢٥) مسلم (١٣٦٩).
قال الإمام أحمد في شرح هذا الحديث: هو على وجه التواضع.
(٢٦) البخاري (٣١٥).
(٢٧) البخاري (٦٩١٧).

اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: فقُلْتُ: أعَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ، قَالَ: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا يُدْرِى أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

❑ ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(٢٨).

وقوله «أنا خير»: إما أن تحمل على العبد أي لا ينبغي لعبد أن يقول عن نفسه «أنا خير من يونس بن متى» لكونه ذهب مغاضبًا وأنا لم أُغاضب.

أو أن قوله «أنا» عائدة على رسول الله، أي لا ينبغي لأحد أن يقول عن رسول الله محمد ﷺ إنه خيرٌ من يونس بن متي، وهذا يحمل على تواضعه عليه الصلاة والسلام أو على أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

(٢٨) البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (٢٣٧٧).

❑ ويقول عليه الصلاة والسلام: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

ومن ذلك إقرار النبي ﷺ للأنصار بفضلهم:

❑ أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: آثَرَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي أَلَا تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ؟ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ - يَعْنِي الْبَقَرَ - وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُدْخِلُونَهُ بُيُوتَكُمْ؟ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي

أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[٢٩].

فكما بيَّنا فمن صور التواضع :

الإقرار لأهل الفضل بفضلهم:

❑ وهذا رسولنا ﷺ يُذكِّر بفضل أبي بكر رضي الله عنه فيقول[٣٠]: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

❑ ويقول أيضًا[٣١]: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟».

---

(٢٩) أحمد في المسند (٣/ ٥٧)، وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٩١٣). وأصل هذا الحديث في الصحيحين من طرق، انظر البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٣٠) أحمد (٢/ ٢٥٣).

(٣١) البخاري (٣٦٦١).

❑ وفي مسند الإمام أحمد[٣٢] بسندٍ صحيح: «أَنَّ أَبا بَكْرٍ جاء بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ «لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ لَأَتَيْنَاهُ مَكْرُمَةً لِأَبِي بَكْرٍ».

❑ وعمر رضي الله عنه يقول: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتقدم قومًا فيهم أبو بكر[٣٣].

❑ وفي الصحيح[٣٤] أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعني بلالًا.

ومن إقرار الصحابة لبعضهم بالفضل:

❑ إقرارُ عليٍّ رضي الله عنه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي صحيح البخاري[٣٥] من طريق مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي:

(٣٢) مسند أحمد (٣/ ١٦٠).

(٣٣) ابن أبي شيبة (١١٩٨٣).

(٣٤) البخاري (٣٧٥٤).

(٣٥) البخاري (٣٦٧١).

أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

❑ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا يقول: «أقرؤنا أُبي، وأقضانا عليٌّ».

❑ ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم(٣٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَوْا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ - إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

❑ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تثني غاية الثناء على زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم يمنعها من هذا الثناء كونها ضرتها.

(٣٦) البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩).

❑ فقد قالت عائشة رضي الله عنها في شأن زينب: «هي التي كانت تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ»(٣٧).

❑ ولقد كان ﷺ يتاجر ويمشي في الأسواق، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

❑ بل وكان المرسلون عمومًا كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقد كانوا يحترفون ويتاجرون:

❑ فقد أُمر نوح عليه السلام أن يصنع الفلك: قال تعالى:

(٣٧) مسلم (٢٤٤٢).

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.

❑ وكان إبراهيم عليه السلام يبني ويرفع القواعد من البيت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

❑ وموسى عليه السلام كان يرعى الغنم، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٧، ١٨].

❑ بل وكلُّ نبيٍّ قد رعى الغنم: أخرج البخاري[(٣٨)] في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[(٣٩)] لِأَهْلِ مَكَّةَ».

❑ وداود عليه السلام كان حدادًا يعمل السابغات، أي

---

(٣٨) البخاري (٢٢٦٢).

(٣٩) قيل القراريط الدراهم والدنانير، أو أجزاء من الدراهم والدنانير وقيل إنها اسم مكان بمكة.

الدروع السابغة التي تتقى بها سهام الأعداء وضربات السيوف.

❑ قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

❑ «وزكرياء عليه السلام كان نجارًا» كما قال النبي ﷺ (٤٠).

ومن صور التواضع مع الناس:

خفض الجناح لهم عند مخاطبتهم وعدم التعالي عليهم في الحديث معهم، وقد ضرب الأنبياء والصالحون في ذلك مُثلًا عالية.

❑ فها هو يوسف الصديق عليه السلام، بعد أن مكن الله له في الأرض وجعله الله عزيزًا على مصر، ويأتيه إخوته يطلبون الميرة والطعام، يقولون له ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ﴾

---

(٤٠) أخرجه في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا».

فيقول متواضعًا ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ فلم يقل أنا العزيز يوسف ولا أنا الوزير يوسف، ولا نحو ذلك مما هو مصحوب بالألقاب الضخمة الكبيرة التى تتقدم الأسماء الآن.

❑ ثم يلفت النظر إلى أخيه المظلوم كظلمه، قائلًا ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ أي وهذا أخي المظلوم كظلمى فلا تنسوا ظلمكم له أو ولا تنسوا أن تتحلوا من مظلمته أيضًا.

❑ ثم يبين أن الفضل الذي هو فيه ليس عن كبير اجتهاد منه إنما هو من الله سبحانه وتعالى فله النعمة وله الفضل، فيقول: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ ثم يبين أنهم قد يحصلون على مثل هذا الفضل من الله، وكذا قد يحصل عليه غيرهم، ولكن ذلك يتم بالتقوى والصبر، فيقول ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

فصلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم.

❑ وهذا نبي الله سليمان عليه السلام، الذي سخرت له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، وكذلك تجري عاصفة إلى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين.

❑ سليمان الذي سخرت له الجن والشياطين وعلمه الله لغة الطير، هذا النبي الكريم يرسل رسالةً متواضعًا فيه قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١].

❑ وها هو ذو القرنين يصبر على مقولة القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، وهم يقولون له: ﴿يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

فلم يعاقبهم لكونهم نادوه باسمه وخاطبوه بالذي خاطبوه به.

❑ وهذا مسلك مضطرد لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم فهذا رسولنا محمدٌ ﷺ يرسل رسالته لهرقل يقول فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ» وفيها «وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ».

فحقًا إنه لعلى خلقٍ عظيم!!!

❑ وكذا من صور التواضع مجالسة الفقراء من أهل الإيمان والاستماع إليهم والإقبال عليهم، ولقد أُمر نبينا بذلك فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

❑ لقد كان أهل التكبر والغرور يطلبون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء ولا يجالسهم ويقولون له اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا، فحدثت رسول الله نفسه بما شاء الله أن تحدثه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٦].

❑ ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

❑ ثم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالترحيب بهؤلاء

الضعفاء وتبشيرهم، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

❑ ولقد نزل قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ١، ٢] عتابًا لرسولنا محمد ﷺ وتعليمًا لأمته، لما أقبل رسول الله ﷺ على كبار كفار قريش يدعوهم وهم معرضون، وأعرض عن ابن أم مكتوم الذي جاء يسعى وهو يخشى.

أخرج الترمذي وغيره(٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أُنزِل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول الله يُعرضُ عنه ويُقبلُ على الآخر ويقول: «**أترى بما أقول بأسًا؟**» فيقول:

(٤١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٣٣١)، والطبري عند تفسير الآية الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

لا . ففي هذا أنزل.

ومن صور التواضع هضم النفس وعدم المبالغة في الثناء عليها لغير حاجة.

❑ فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].

❑ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦].

❑ وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء: ٤٩].

ومن صور التواضع: طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب:

وعليك بطلاقة الوجه وانبساطه لإخوانك أثناء حديثك معهم:

❑ قال لقمان لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨].

❑ وقال النبي ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٤٢) أخرجه مسلم.

---

(٤٢) مسلم (حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

❑ وفي وراية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي: «وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ»(٤٣).

❑ وجرير البجلي يقول: «ما رآني النبي ﷺ إلا تبسم في وجهي»(٤٤).

ومن صور التواضع: التواضع لطلب العلم وتحصيله:

❑ إن أفضلية موسي عليه السلام، وكونه كليم الله ، ومن أولي العزم من الرسل، كل ذلك لم يمنعه من أن يسافر إلى الخضر ويتجشم المشاق لتعلم العلم الشرعي، ويقول مستئذنًا الخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

❑ وانظر إلى تواضع الراهب الإسرائيلي الذي ورد ذكره في حديث(٤٥) أصحاب الأخدود، وهو يقول للغلام وكان

(٤٣) أحمد (٥/ ٦٣) بإسناد صحيح وله شواهد.

(٤٤) البخارى (حديث ٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٤٥) الحديث بذلك في صحيح مسلم.

الغلام قد تعلم على يديه. أي بني اليوم أنت أفضل مني..

ومن صور التواضع: قبول الحق ممن جاء به:

فقد أقَّر رسول الله ﷺ أبا هريرة على ما قاله الشيطان في شأن آية الكرسي وأن الله يحفظ قارئها حتى يصبح(٤٦).

❑ والرسول ﷺ منع أصحابه من قولهم: ما شاء الله وشاء محمد، ومن قولهم: والكعبة، لما جاءه اليهود وقالوا: إنكم تشركون وتنددون(٤٧)... الحديث.

---

(٤٦) في البخاري معلقًا مع «الفتح» (٤/ ٤٨٧) من حديث أبي هريرة وفيه أن الشيطان قال له: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ [البقرة: ٢٥٥] فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ».

(٤٧) أخرج النسائي في «السنن» (٧/ ٦) بإسناد صحيح من حديث قتيلة - امرأة من جهينة - «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النبي ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَيَقُولُونَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ». وأخرجه أيضًا في «عمل اليوم=

❑ ولما جاء الحبر اليهودي إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع .. الحديث، وفيه فضحك النبي ﷺ(٤٨) ..، قال ابن مسعود: تصديقاً لخبر الحبر.

وهذا شيء من تواضع رسول الله ﷺ في بيته:

لقد كان رسول الله ﷺ في بيته في مهنة أهله.

❑ أخرج البخاري في صحيحه من طريق الْأَسْوَدِ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»(٤٩).

= والليلة» (٩٨٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٤٨) وتمام الحديث: «وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

(٤٩) البخاري حديث (٦٠٣٩).

فمن ثمّ فلا مانع أبدًا - بل هو مستحب - أن يساعد الرجل أهل بيته في عمل البيت، يحمل الطفل أحيانا، يساعد في الطهي أحيانا، يساعد في الغسيل أحيانا، يُرتب البيت أحيانا فبمثل هذا تحل المودة، وتثبت المحبة وينمو الخير ويزداد.

وهذا شيءٌ من تواضعه في طعامه:

❑ فما أكل على خوانٍ[٥٠] قط، ولا خبز له خبزٌ مرقق قط، أخرج البخاري في صحيحه[٥١] من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ».

❑ وكان يقول: «إني لا آكل متكئًا»[٥٢] ويقول: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا

(٥٠) والخوان: الشيء المرتفع بمنزلة السُّفرة.

(٥١) البخارى (٥٣٨٦).

(٥٢) البخاري (٥٣٩٨).

لِلشَّيْطَانِ»[٥٣].

❑ وكان يقول أيضًا: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ؛ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَالْأُخْرَى شِفَاءً»[٥٤].

❑ وكان يدعو قائلًا «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[٥٥].

❑ وقالت عائشة رضي الله عنها لابن أخيها عروة بن الزبير: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ[٥٦].

---

(٥٣) مسلم (٢٠٣٤).

(٥٤) البخاري (٣٣٢٠، ٥٧٨٠).

(٥٥) البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

(٥٦) البخاري (٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٢).

□ ولقد قال عمر رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي ما يجد دقلًا يملأ به بطنه(٥٧).

ويقول عمر أيضًا(٥٨) في حديث طويل: «فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ. فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ. وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَمَا لِي لَا أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى».

❀ ❀ ❀

---

(٥٧) مسلم (٢٩٧٨).

(٥٨) مسلم (١٤٧٩).

وهذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه مع أصحابه:

لقد كان بين أصحابه كواحدٍ منهم لا يكاد يعرف، وهو سيد ولد آدم:

❑ عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ...»(٥٩).

❑ وعن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»(٦٠).

---

(٥٩) البخاري (حديث٦٣).

(٦٠) البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٣٧).

❑ ويتبادل يوم بدر الركوب مع عليٍّ وأبي لبابة رضي الله عنهما فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ مِنَّا عَلَى بَعِيرٍ كَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا كَانَ عُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَا: ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ، فَيَقُولُ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»[٦١].

❑ وقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال: مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ[٦٢]

وكان يستأذن أصحابه حتى الصغير منهم.

❑ أخرج البخاري ومسلم[٦٣] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ

(٦١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤١١).

(٦٢) البخاري في الأدب المفرد (٩٤٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢- ١٣٤)، والترمذي (٧٥٤) وغيرهم، ورجاله ثقات.

(٦٣) البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ» قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ، اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

❑ ويُسلم على صبيانهم ولقد كان يمازحهم، بل ويمازح صبيانهم أخرج أحمد بسند حسن(٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا. قال: «**نعم غير أني لا أقول إلا حقًّا**».

ومن ذلك:

❑ ما أخرجه أيضا(٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه بسند صحيح: «أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ**».

❑ وقد كان يصبر على جاهلهم، فعن أنس رضي الله عنه قال:

---

(٦٤) أحمد (٢/ ٣٦٠).

(٦٥) أحمد (٣/ ٢٦٧).

«كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ[٦٦] غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ[٦٧] فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[٦٨].

❑ وكان يجيب دعوتهم إذا دعوه لطعام ويقبل هديتهم ويثيبهم عليها فقد دعاه خياط لطعام صنعه فذهب إليه رسول الله ﷺ[٦٩].

❑ ولقد قال رسول الله ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٧٠].

(٦٦) البرد: هو الرداء.

(٦٧) غليظ الحاشية: أي غليظ طرف الثوب.

(٦٨) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٦٩) البخاري (٥٣٧٩).

(٧٠) البخاري (٢٥٦٨). أما الكُراع: فهي التي تطلق عليها الكوارع.

وكان يماشيهم ويأخذ بأيديهم:

❑ أخرج مسلم[٧١] في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنت جالسًا في داري فمرَّ بي رسول الله ﷺ فأشار إليَّ فقمت إليه فأخذ بيدى فانطلقنا... الحديث.

وتأتيه المرأة في عقلها شيء فيقضي لها حاجتها:

❑ أخرج مسلم في صحيحه[٧٢] من حديث أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا.

ولقد كان يجالس أصحابه[٧٣]:

❑ عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ:

---

(٧١) مسلم (٢٠٥٢).

(٧٢) مسلم (٢٣٢٦).

(٧٣) مسلم (٦٧٠).

«أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَثِيرًا. كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ».

وكان يسابقهم:

❑ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»(٧٤).

ولقد كان يعود مرضاهم، ويُعَبِّر لهم رؤياهم.

❑ أخرج مسلم(٧٥) في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ

(٧٤) أخرجه البخاري (٦٥٠١).

(٧٥) مسلم (٩٢٥).

رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَخَا الْأَنْصَارِ! كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ. مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلَا خِفَافٌ وَلَا قَلَانِسُ وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ.

❑ وأخرج البخاري[٧٦] في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين . . . الحديث.

❑ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[٧٧] الحديث.

(٧٦) البخاري (٤٥٧٧).

(٧٧) البخاري (٣٦١٦).

بل وعاد الغلام اليهودي الذي كان يخدمه أيضًا[٧٨].

وهذه صور موجزة جدًّا من تواضع أصحابه ﷺ:

فمن تواضع أبي بكر رضي الله عنه للفقراء والضعفاء:

❑ أخرج مسلم[٧٩] من حديث عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي».

ومن تواضع عمر رضي الله عنه لربه عز وجل:

❑ أخرج البخاري[٨٠] من طريق أبي بردة ابن أبي موسي

(٧٨) البخاري (١٣٥٦، ٥٦٥٧).

(٧٩) أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

(٨٠) البخاري (٣٩١٥).

الأشعري قال: «قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: هَلْ تَدْرِي مَا قَالَ أَبِي لِأَبِيكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّ أَبِي قَالَ لِأَبِيكَ: يَا أَبَا مُوسَى هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِجْرَتُنَا مَعَهُ وَجِهَادُنَا مَعَهُ وَعَمَلُنَا كُلُّهُ مَعَهُ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ أَبِي: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ فَقَالَ أَبِي: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَبِي».

❑ وانظر إلى هذا التواضع المشوب بالعدل والإنصاف، أخرج ابن سعد في الطبقات[(٨١)] بسند حسن لغيره أن عمر بن الخطاب فضَّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر فقال عبد الله بن عمر: فقال لي رجل فضَّل عليك أمير المؤمنين من

(٨١) ابن سعد (٤/١/٤٩).

ليس بأقدم منك سنًا ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد. قال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضلت عليَّ من ليس هو بأقدم مني سنًا ولا أفضل مني هجرة، ولا أشهد من المشاهد ما لم أشهد قال: ومن هو؟ قلت أسامة بن زيد قال: صدقت لعمر الله! فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله ابن عمر فلذلك فعلت.

❑ وانظر إلى فضل أويس وتواضعه، وكذا تواضع عمر رضي الله عنه، أخرج مسلم[٨٢] من طريق أُسيد بن جابر قال: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ

(٨٢) مسلم (٥/ ٤٠٣).

مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ.

وكذا تواضع عائشة رضي الله عنها:

❑ أخرج البخاري(٨٣) من طريق ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ:

(٨٣) البخاري (٤٧٥٣).

اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قُبَيلَ مَوْتِهَا - عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَت: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتِ ائْذَنُوا لَهُ. فَقَالَ كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا.

أيها الأخوة:

❑ إنه جميل جدًا أن يتواضع ويأكل رئيس مع مرؤوس وكذا مديرٌ مع عاملٍ، وطبيب مع ممرض، جميل وطيب أن يجالس لواء شرطة مع غفير ويؤاكله ويشاربه.

❑ وما المانع أن يمشي هذا مع ذاك، وأن يركب هذا مع ذاك؟

❑ ما المانع من أن يمشي غنيٌّ مع فقير؟!!! أو ذو حسبٍ مع وضيعٍ في الحسب!!

لقد قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

رزقنا الله وإياكم التقوى، ومنَّ علينا وعليكم بالتواضع، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد . .

فقد سمعتم بارك الله فيكم شيئًا من الوارد في فضل التواضع فتواضعوا يرفعكم الله.

واحذروا أن تكونوا من المستكبرين! فإن الله لا يحب المستكبرين. واحذروا من الاستكبار عن عبادة الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

واحذروا التعالي على سنة رسول الله ﷺ. فعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فقَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ(٨٤).

❑ احذروا أن تأخذكم العزة بالإثم إذا ذُكِّرتم بأمر الله ورسوله فإن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الكريم شخصا

(٨٤) مسلم (٢٠٢١).

قال في شأنه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦].

❏ احذر أيها المسلم أن تجادل في الله بغير علم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ(٨٥) لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ [الحج: ٨، ٩].

❏ احذر التعالي على الناس. لقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

❏ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٨٦).

❏ ولقد قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

(٨٥) ثاني عطفة: لاوي عنقه

(٨٦) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ [لقمان: ١٨].

❑ احذروا الفخر بالأحساب، وكذا الطعن في الأنساب فإن ذلك من أمر الجاهلية.

❑ لقد قال النبي ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**»(٨٧).

❑ إن كنت عالمًا أو طبيبًا ماهرًا أو مهندسًا حذقًا أو طالبًا ذكيًا أو معلمًا مُربيًا أو صانعًا تجيد صنعتك فاذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

انظروا بارك الله فيكم إلى عواقب المستكبرين:

❑ هذا إبليس المستكبر اللعين، طرد من الجنة وأُخرج

(٨٧) مسلم (٩٣٤).

منها مذءومًا مدحورًا.

❑ هذا فرعون المتعالي المستعظم قال الله في شأنه ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠﴾ [الذاريات: ٤٠].

❑ هذا قارون الفرح الفخور، يقول ربنا في شأنه ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [القصص: ٨١].

وإن كنت فقيرًا تعول أطفالًا ونساء، أو تعول كبارًا فإياك أن تستكبر وتتعالى فإن الذم في حقك أشد، والوعيد في حقك أعظم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ**» قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: «**شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(٨٨).

❑ إياك أن تتألى على الله، فقد أخرج مسلم من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا

(٨٨) مسلم (حديث ١٠٧).

قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(٨٩).

❑ احذر أن تُسِّمع بأعمالك فيسمع الله بك، واحذر أن تراءي فيراءي الله بك.

ففي الحديث «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»(٩٠).

❑ إياك أن تحب أن يتمثل لك الرجال قيامًا كلما دخلت عليهم ففي الحديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الْعِبَادُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ»(٩١).

إياك أن تحقر مُسلمًا:

❑ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ

---

(٨٩) مسلم (٢٦٢١).

(٩٠) البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٩١) أحمد (٤/ ٩١/ ٩٣)، وهو صحيح.

أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(٩٢).

❑ لقد خطب النبي ﷺ في وَسَطِ أَيَّام التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»(٩٣).

❑ ولقد صح عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(٩٤).

❑ وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ

(٩٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٩٣) صحيح لشواهده، وأخرجه أحمد (٥/ ٤١١).

(٩٤) مسلم (٢٥٦٤).

يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ، إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(٩٥).

❑ ولقد قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»(٩٦).

اللهم ارزقنا حسن الخلق.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

اللهم ارزقنا التواضع واحشرنا مع المخبتين لك يارب

(٩٥) أخرجه البخاري (٦٤٤٧).

(٩٦) مسلم (٢٦٢٢).

العالمين.

اللهم جنبنا الكبر والغرور، واصرفنا عن المستكبرين ولا تحشرنا معهم يارب العالمين.

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

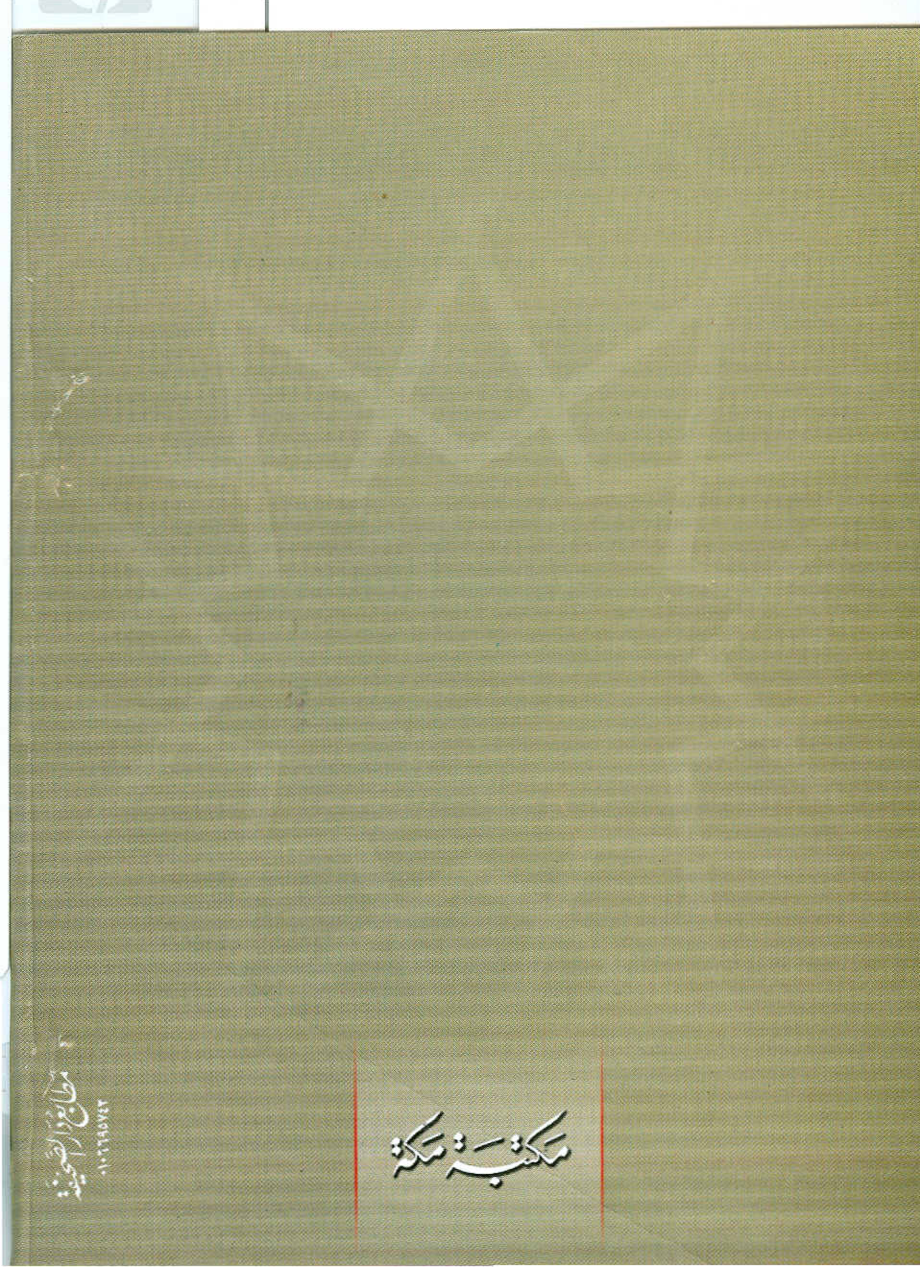
اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين وفك أسرانا وأسرى المسلمين يارب العالمين.

اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيرًا فوفقه لكل خير، ومن أراد بالإسلام والمسلمين شرًا فعليك به اجعل كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره ياسميع الدعاء.

اللهم ارفع راية المسلمين فوق كل الرايات.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأقم الصلاة.

❀ ❀ ❀


مكتبة مكة